علوم الحديث : السداسي الثاني ذ. فؤاد بوقجيج

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين

مقدمة :

إن علم أسباب ورود الحديث النبوي، وعلم غريب الحديث، وعلم مختلف الحديث، وعلم ناسخ الحديث ومنسوخه، كلها علوم جليلة القدر عظيمة الشأن، لما لها من ارتباط وتعلق بفهم حديث رسول الله ﷺ، كل علم من هذه العلوم الأربعة إلا وله أثر واضح جدا في حسن بيان خطاب رسول الله ﷺ، هذا الخطاب الذي قد يكتنفه إشكال في الفهم وخلل في إدراك المقصود، ما لم يعتمد الناظر فيه على هذه العلوم المهمة التي تُجَلي المراد وتكشف المعنى .

إن فقه حديث رسول الله ﷺ لا يَكتمل بُنيانُه ولا تتم أركانه ،إلا باعتماد هذه العلوم التي أبدعها علماء الإسلام رحمهم الله ،حيث برع فيها ثلة منهم ،فصنفوا فيها المصنفات الشهيرة ، واستطاعوا الكشف من خلالها عن معاني عدد كبير من أحاديث رسول الله ﷺ ، تحقيقا للفهم السليم للسنة النبوية المطهرة ، فجاءت هذه المصادر غزيرة بالأمثلة والشواهد من كلام المصطفى عليه السلام ، لا غنى للمهتم بسنة رسول الله عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام من الرجوع إليها ، وإلا جاء فهمه لمعاني السنن والأحاديث فهما ناقصا ومضطربا ، وربما فهم معنى الحديث على غير مُراده ، وقَوَّل الرسولَ عليه السلام ما لم يَقُلْه .

أَوّلاً // أسباب ورود الحديث

1) **تاريخ التأليف في أسباب ورود الحديث :**

إن بداية التأليف في علم أسباب ورود الحديث جاءت من الاستفادة من الكتب المصنفة في علم أسباب نزول آيات القرآن الكريم ، وذلك لما ظهرت للعلماء أهمية المعرفة بأسباب النزول في فهم معاني الآيات القرآنية الكريمة المرتبطة بأسباب لنزولها ، فشرع بعض العلماء من أهل الحديث في التصنيف في أسباب ورود الحديث بمنهج التصنيف في اسباب نزول القرآن .

ومعلوم أن العلوم المرتبطة بالقرآن الكريم وكذا المتعلقة بالسنة النبوية ، يُسجَّل تاريخيا السبق لبعضها على حساب البعض الآخر ، فرغم كون التأليف في علوم الحديث سابق على التصنيف في علوم القرآن كما قرر ذلك الإمام جلال الدين السيوطي (ت911هـ) حيث قال :" ولقد كنت في زمان الطلب أتعجب من المتقدمين ، إذ لم يدونوا كتابا في أنواع علوم القرآن، كما وضعوا ذلك بالنسبة إلى علم الحديث " [1] ، وبالنسبة لبعض العلوم المرتبطة بالقرآن الكريم ، فإنها كانت سابقة على غيرها في علوم الحديث ، كما هو الشأن بالنسبة لأسباب نزول القرآن مقارنة مع أسباب ورود الحديث .

ولهذا كان البحث في أسباب الورود كالبحث في أسباب النزول ، يقول الإمام جلال الدين السيوطي :" ... من أنواع علوم الحديث معرفة أسبابه ، كأسباب نزول القرآن ، وقد صنف الأئمة كتبا في أساب نزول القرآن ...ولي فيه تأليف جامع يسمى (لُباب النقول في أسباب النزول)، وأما أسباب الحديث فألف فيه بعض المتقدمين ولم نقف عليه[2]... وقد أحببت أن أجمع فيه كتابا ،

---

[1] _ مقدمة الإتقان في علوم القرآن ج1/ ص4 .

[2] _ بمعنى أنها مصنفات مفقودة لا وجود لها ، ذُكرت ضِمْن ما ذُكر من المصنفات في أسباب ورود الحديث ، و من المصنفين لهذه المصادر المفقودة : أبو حفص العُكْبَري (ت 399هـ)، و الحافظ عبد الغني بن سعيد الأزدي (ت409هـ)، و أبو حامد بن قتادة الجوباري (ت553) ، وابن الجوزي الحنبلي (ت597هـ) ، وعبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب المعروف بابن الحنبلي (ت634هـ) .

فتتبعت جوامع الحديث ، والْتَقَطْت منها نُبَذا، وجمعتها في هذا الكتاب ، والله الموفق والهادي للصواب "[3] .

وبالإضافة إلى كتاب "اللُّمَع في أسباب ورود الحديث" للإمام السيوطي (ت911هـ) نذكر من المصادر : "البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف" لإبراهيم بن مُحَمَّد المعروف بابن حمزة الدمشقي (ت1120هـ) ، ومن المراجع ما يلي :

"علم أسباب ورود الحديث" لبدر عبد الحميد هميسة .

"سبب ورود الحديث ضوابط ومعايير" زين العابدين مُحَمَّد عصري .

" أسباب ورود الحديث تحليل وتأسيس" (سلسلة كتاب الأمة رقم 37) لمحمد رفعت سعيد .

2) **تعريف أسباب ورود الحديث :**

أساب ورود الحديث ، هو ما ذُكر الحديث بشأنه وقت وقوعه .

بشأنه : أي لأجله وبسببه ، وقد يكون هذا الذي لأجله وبسببه ، هو حادثة وقعت ، أو سؤال طرح، أو نحو ذلك .

والمراد بوقت وقوعه : أي في زمن رسول الله ﷺ ، فخرج بذلك [بمعنى يُستثنى من ذلك] ما ذُكر في بعض الأحاديث من الأخبار عما وقع في الزمن الماضي ، كقصص الأنبياء ونحو ذلك ، وما وقع بعد عصر رسول الله ﷺ .

أ_ أسباب الورود لغة :

السبب لغة : الحبل ، وهو كل شيء يُتَوصل به إلى غيره ، ثم أُطلق على كل شيء يُتوصل به إلى المطلوب ، وعرفه علماء الشريعة بأنه عبارة عما يكون طريقا للوصول إلى الحكم .

[3] _ اللُّمَع في أسباب ورود الحديث للسيوطي ، ص107.

الورود : جمع مورد ، والورود هي المناهل ، أو الماء الذي يورد .

ب_ أسباب الورود اصطلاحا :

لم يُؤثر عن المحدثين تعريف محدد لأسباب الورود ، ولعلهم أغفلوه اعتمادا منهم على وضوحه .

ومنهم من أشار إلى أهميته دون تعريفه كما هو الشأن بالنسبة للحافظ ابن حجر، حيث قال في كتابه (نزهة النظر) : " ومن المهم معرفة سبب الحديث "[4] ، يقول نور الدين عتر _ محقق نزهة النظر _ شارحا كلام ابن حجر :" هو سبب ورود الحديث ، وهو ما ورد الحديث متحدثا عنه أيام وقوعه "[5]

وقد عرفه بعض المعاصرين كما يلي :

يقول الدكتور أبو شهبة : " هو علم يُبحث فيه عن الأسباب الداعية إلى ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث أوَّلا ، وهذا السبب قد يكون سؤالا ، وقد يكون حادثة ، وقد يكون قصة ، فيقول النبي ﷺ الحديث بسببه أو بسببها " .

وعرفه الدكتور يحيى إسماعيل بقوله :" هو ما يكون طريقا لتحديد المراد من الحديث ، من عموم، أو خصوص، أو إطلاق، أو تقييد، أو نسخ، أو غير ذلك ، أو هو ما ورد الحديث أيام وقوعه "، ويغلب على الظن أن هذا العلم قد وضعت بذوره الأولى في عصر الصحابة والتابعين .

وأسباب الورود يتشابه إلى حد كبير مع أسباب النزول، يقول الإمام السيوطي (ت911هـ) : " إن من أنواع علوم الحديث معرفة أسبابه كأسباب نزول القرآن " [6] .

---

[4]_ نزهة النظر ، ص 144 .
[5]_ انظر هامش ص 144 من نزهة النظر .
[6]_ اللمع في أسباب ورود الحديث ص 107 .

وقال ابن حمزة الحسيني (ت1120هـ):"اعلم أن أسباب ورود الحديث كأسباب نزول القرآن "[7].

ولا شك أن عناية العلماء بأسباب نزول القرآن وأسباب ورود الحديث ، يجَلي إلى حد كبير مدى عناية العلماء من السلف والخلف بهذين المصدرين العظيمين ، القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

3) **أقسام الحديث من حيث الورود :**

قال ابن حمزة الحسيني :" الحديث الشريف في الورود على قسمين : ما له سبب قيل لأجله ، و ما لا سبب له "[8] .

واضح من هذا الكلام أن بعض الأحاديث من خطاب رسول الله ﷺ وردت على أسباب معلومة ومعروفة ، و كثير من أحاديثه عليه السلام لا تُعلم لها أسباب ، كما هو الشأن بالنسبة للقرآن الكريم أيضا ، بعض آياته أسباب نزولها معلومة ، وكثير من آياته لا أسباب لها .

والأحاديث التي لها أسباب ورود بالمعنى الصحيح لعبارة (أسباب الورود) هي التي قالها رسول الله ﷺ لسبب ما ، فاشتهرت عنه وذاعت مرتبطة بأسبابها .

ومِن الباحثين المعاصرين مَن ذَهب إلى أن الأحاديث التي ذُكرت معها بعض أسبابها لاحقا، فعُلم أن هذا السبب مما ذكره الصحابي مثلا أو التابعي ، فإن هذا لا يسمى (سبب ورود)، وإنما يسمى (سبب ذِكر) [9].

4) **أهمية وفوائد العلم بأسباب الورود :**

أ_ أهمية علم أسباب الورود : يقول الدكتور يوسف القرضاوي _ تحت عنوان : فهم الأحاديث في ضوء أسبابها وملا بساتها ومقاصدها _ :" ومن حسن الفقه للسنة النبوية ، النظر فيما

---

[7]_ البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف لابن حمزة الحسيني ج1/ ص 32 .
[8]_ المصدر نفسه ج1/ص32 .
[9]_ انظر في تعريف أسباب الورود وأقسامه ، علم أسباب ورود الحديث لبدر عبد الحميد هميسة (بتصرف) .

بني من الأحاديث على أسباب خاصة ، أو ارتبط بعلة معينة منصوص عليها في الحديث ، أو مستنبطة منه ، أو مفهومة من الواقع الذي سيق فيه الحديث .

فالناظر المتعمق يجد أن من الحديث ما بُني على رعاية ظروف زمنية خاصة ، ليحقق مصلحة معتبرة ، أو يدرأ مفسدة معينة ، أو يعالج مشكلة قائمة في ذلك الوقت .

ومعنى هذا أن الحكم الذي يحمله الحديث قد يبدو عاما دائما ، ولكنه عند التأمل مبني على علة، ويزول بزوالها ، كما يبقى ببقائها .

وهذا يحتاج إلى فقه عميق ، ونظر دقيق ، ودراسة مستوعبة للنصوص ، وإدراك بصير لمقاصد الشريعة ، وحقيقة الدين ، مع شجاعة أدبية ، وقوة نفسية للصدع بالحق ، وإن خالف ما أَلِفَه الناس وتَوارثوه ، وليس هذا بالشيء الهين ...

لابد لفهم الحديث فهما سليما دقيقا ، من معرفة الملابسات التي سيق فيها النص ، وجاء بيانا لها وعلاجا لظروفها ، حتى يتحدد المراد من الحديث بدقة ، ولا يتعرض لشطحات الظنون ، أو الجري وراء ظاهر غير مقصود .

و مما لا يخفى أن علماءنا قد ذكروا ، أن مما يعين على حسن فهم القرآن ، معرفة أسباب نزوله ، حتى لا نقع فيما وقع فيه بعضُ الغُلاة من الخوارج وغيرهم ، ممن أخذوا الآيات التي نزلت في المشركين وطبقوها على المسلمين ، ولهذا كان ابن عمر يراهم شرار الخَلق ، بما حرفوا كتاب الله عما أُنزل .

فإذا كانت أسبابُ نزول القرآن مطلوبةً لمن يفهمه أو يفسره ، كانت أسبابُ ورود الحديث أشدَّ طلبا ، ذلك أن القرآن بطبيعته عام وخالد ، وليس من شأنه أن يَعرض للجزئيات والتفصيلات والآنِيات ، إلا لتؤخذ منها المبادئ والعبر .

أما السنة فهي تعالج كثيرا من المشكلات الموضعية والجزئية والآنية ، وفيها من الخصوص والتفاصيل ما ليس في القرآن .

فلا بد من التفرقة بين ما هو خاص وما هو عام ، وما هو مؤقت وما هو خالد ، وما هو جزئي وما هو كلي ، فَلِكُل منها حكمه ، والنظر إلى السياق والملابسات والأسباب تساعد على سداد الفهم واستقامته لمن وفقه الله "[10].

ب_ فوائد معرفة أسباب الورود :

إن معرفة ذلك مفيدة جدا للفقيه والمحدث على حد سواء ، ومن فوائد هذه المعرفة ما يلي:

_ إدراك حكمة التشريع ومعرفة مقاصد الشريعة : ذلك أن سبب الورود يعين على معرفة الظروف والملابسات التي ذكر الحديث لأجلها ، وهذا يفيد كثيرا في الاجتهاد وتنزيل الأحكام على الوقائع والنوازل ، ويعين في باب القياس وضم النظير إلى نظيره .

_ فهم الحديث على الوجه الصحيح وسلامة الاستنباط منه : فإذا كان "بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن" كما يقول الإمام ابن دقيق العيد (ت702هـ) ، فالأمر لا يختلف كثيرا في أسباب ورود الحديث ، عنه في أسباب نزول القرآن ، إذِ العلم بالأسباب يعين على الفهم الصحيح الذي يؤدي بدوره إلى الاستنباط والتنزيل السليم .

5) أمثلة تطبيقية في علم أسباب ورود الحديث :

_ ورد في كتاب "اللمع في أسباب ورود الحديث" للإمام السيوطي : باب الحج ، حديث: أخرج مسلم والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :(ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه).

[10]_ كيف نتعامل مع السنة ص 125_ 126 .

سبب : أخرج ابن حبان عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ خطب فقال : (أيها الناس إن الله عز وجل قد افترض عليكم الحج ، فقام رجل فقال : أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت عنه حتى أعادها ثلاث مرات ، فقال : لو قلت نعم لَوَجَبَتْ ، ما قُمتم بها ، ذروني ما تركتكم ، فإنما هلك الذين من قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم) [11].

ـ عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله ﷺ (كان الله ولم يكن شيء قبله ، وكان عرشه على الماء ، ثم خلق السماوات والارض ، وكتب في الذِّكر كلَّ شيء) [12] .

سببه : أن ناسا من بني تميم أتوا رسول الله ﷺ ، فقال :(اقبَلوا البشرى يا بني تميم ، قالوا قبلنا يا رسول الله ، ثم قالوا جئنا لنتفقه في الدين ، ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان ؟ قال : كان الله ولم يكن شيء قبله ...)[13].

ـ عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ (إني لَأُبصِر مِن ورائي كما أُبصر من بين يَدَيَّ)[14] .

سببه : صلى النبي ﷺ يوما ثم انصرف فقال : (يا فلان ، ألا تُحسن صلاتَك ؟ ألا ينظر المصلي إذا صلى كيف يصلي ، فإنما يصلي لنفسه ، إني لَأُبصر مِن ورائي كما أبصر مِن بين يَدَيَّ) .

ـ عن معاوية بن الحكم السُّلمي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس ، إنما هي التسبيح والتكبير و قراءة القرآن)[15].

سببه : قال معاوية : بينما أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم ، فقلت يرحمك الله ، فرَماني القومُ بأبصارهم ، فقلت وا ثَكْلَ[16] أُمَيَّاه ، ما شأنُكم تنظرون إلي ؟ فجعلوا يضربون

---

[11] ـ اللمع في أسباب ورود الحديث ج1/ص53 .
[12] ـ أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق ، رقم 3190 ، والترمذي في المناقب ،رقم 3951 .
[13] ـ أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة ، باب وقت العشاء إلى نصف الليل، رقم 572 .
[14] ـ أخرجه مسلم في كتاب الصلاة ، باب الأمر بتحسين الصلاة وإتمامها والخشوع فيها ، رقم 423 .
[15] ـ أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب تحريم الكلام في الصلاة ، رقم 537 .
[16] ـ الثَّكل و الثُّكل : هو فقدان المرأة ولدَها ، ويقال : امرأة ثاكِل وثَكْلى . انظر مختار الصِّحاح لأبي بكر الرازي ، مادة :(ثكل) ص 53 ، أُمَيَّاه : تصغير أُماه .

بأيديهم على أفخاذهم ، فلما رأيتهم يُصَمِّتُونَنِي سكت ، فلما صلى رسول الله ﷺ قال : إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس ، إنما هي التسبيح ،والتكبير، وقراءة القرآن) .

ـ عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال في البحر: (هو الطَّهور ماؤه الحِلُّ مَيْتَتُه)[17].

سببه : أن رجلا سأل النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إنا نركب البحر ، ونحمل معنا القليل من الماء ، فإن توضأنا به عطشنا، أَفَنَتوضأ بماء البحر ؟ فقال رسول الله ﷺ (هو الطَّهور ماؤه الحِلُّ مَيْتَتُه).

ـ عن عائشة ﷺ ، وفي رواية عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال :(أنتم أَعْلَم بأمور دنياكم)[18] .

يقول الدكتور يوسف القرضاوي مبينا معنى الحديث وموضحا سبب وروده :" هذا الحديث الذي يتخذ منه بعض الناس تَكِأة للتهرب من أحكام الشريعة في المجالات الاقتصادية والمدنية والسياسية ونحوها ، لأنها ـ كما زعموا ـ من شؤون دنيانا ، ونحن أَعلم بها ، وقد وكلها الرسول ﷺ إلينا !!

فهل هذا ما يَعنيه هذا الحديث الشريف ؟

كَلاَّ ، فإن مما أَرسل الله به رسله، أن يضعوا للناس قواعد العدل، وموازين القسط، وضوابط الحقوق والواجبات في دنياهم ، حتى لا تضطرب مقاييسهم وتتفرق بهم السبل، كما قال تعالى :﴿ لقد ارسلنا رُسُلَنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتابَ والميزانَ لِيَقُومَ الناسُ بالقسط ﴾[19] ، ومن هنا جاءت نصوصُ الكتاب والسنة التي تنظم شؤون المعاملات ، من بيع، وشراء، وشركة، ورهن، وإجارة، وقرض، وغيرها، وأن أَطول آية في كتاب الله، نزلت في تنظيم كتابة الديون ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ...﴾[20] .

والحديث (أنتم أَعلمُ بأمور دنياكم) يفسره سبب وروده ، وهو قصة تأبير النخل ، وإشارته ـعليه الصلاة والسلام ـ عليهم برأي ظني يتعلق بالتأبير ، وهو ليس من أهل الزراعة ، وقد نشأ بواد

---

[17] ـ أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة ، باب الوضوء بماء البحر ، رقم 83 .
[18] ـ رواه مسلم في كتاب المناقب ، من حديث عائشة وأنس رضي الله عنهما ،رقم 2363 .
[19] ـ سورة : الحديد ، آية: 25 .
[20] ـ سورة : البقرة ، آية : 282 .

غير ذي زرع ، فظنه الأنصار وحيا [أي ظنوا رأيه في التأبير وحيا] ، أو أمرا دينيا ، فتركوا التأبير ، فكان تأثيره سيئا على التمرة ، فقال: (إنما ظننت ظنا، فلا تؤاخذوني بالظن... إلى أن قال: (أنتم أعلم بأمور دنياكم) فهذه هي قصة الحديث "[21] .

فظهر من خلال هذه النماذج والأمثلة ، كيف أن أسباب الورود تُعين كثيرا في بيان معاني الأحاديث ، فتبقى الحاجةُ إلى إدراك هذه الأسباب ومعرفتها، من الأهمية بمكان لبيان معاني الأحاديث النبوية .

[21]_ كيف نتعامل مع السنة ص 126_ 127 .

ثانيا // غريب الحديث

1) المصنفات في علم غريب الحديث :

"غريب الحديث" لأبي عبيد القاسم بن سلاّم (ت224هـ) .

" غريب الحديث" لابن قتيبة الدينوري (ت276هـ) .

"غريب الحديث" لأبي إسحاق الحربي (ت 285هـ) .

"غريب الحديث" لأبي سليمان الخطابي (ت 388هـ) .

"الفائق في غريب الحديث" لجار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت583هـ) .

"النهاية في غريب الحديث والأثر" لمجد الدين أبي السعادات ابن الأثير الجزري (ت 606هـ) .

وهذه المصادر كلها مطبوعة بحمد الله ومِنَّتِه .

2) تعريف علم غريب الحديث:

يعد الإمام الحاكم أبو عبد الله النيسابوري (ت405هـ) من أقدم من أشار إلى علم غريب الحديث ، حيث أورده في النوع الثاني والعشرين من علوم الحديث ، دون تفصيل في تعريفه فقال رحمه الله :" ذِكر النوع الثاني والعشرين من علوم الحديث : هذا النوع منه معرفة الألفاظ الغريبة في المتون ، وهذا علم قد تكلم فيه جماعة من أتباع التابعين ، منهم مالك والثوري وشعبة فَمَن بَعْدَهم ، فأول مَن صنف الغريب في الإسلام، النضر بن شميل له فيه كتاب هو عندنا بلا سماع، ثم صنف فيه أبو عبيد القاسم بن سلام كتابه الكبير..."[22].

ولعل الذي سبق إلى تعريف غريب الحديث تعريفا واضحا هو الإمام ابن الصلاح الشهرزوري (ت643هـ) حيث قال في النوع الثاني والثلاثين من علوم الحديث :" معرفة غريب

[22]_ معرفة علوم الحديث ،ص 88 (بتحقيق السيد معظم حسين) .

الحديث : و هو عبارة عَمَّا وقع في متون الأحاديث من الألفاظ الغامضة البعيدة عن الفهم ، لِقِلة استعمالها "[23] .

وقال الحافظ ابن حجر (ت852هـ) :" فإن خفي المعنى ، بأن كان اللفظ مستعمَلا بِقِلّة ، احْتِيج إلى الكتب المصنَّفة في شرح الغريب "[24] .

وعرفه من المعاصرين نور الدين عتر _ ناقلا تعريف ابن الصلاح _ فقال :" غريب الحديث : هو ما وقع في متون الأحاديث من الألفاظ الغامضة البعيدة عن الفهم "[25] ، وقال في تعليقه على نزهة النظر :" أي غريب الحديث : وهو ما وقع في متون الأحاديث من الألفاظ الغامضة ، وينبغي الحذر من الخلط بينه وبين الحديث الغريب ، فإن الحديث الغريب هو الذي تفرد به راويه " [26] .

3) **أهميته وصعوبته :**

يقول محمود الطحان :" وهو فن مهم جدا ، يَقبُح جهلُه بأهل الحديث ، لكن الخوض فيه صعب ، فَلْيَتَحَرَّ خائضُه ، ولْيَتَّق الله أن يُقدم على تفسير كلام نبيه ﷺ بمجرد الظنون ، وكان السلف يتثبتون فيه أَشَدَّ التثبت"[27] .

و يقول نور الدين عتر:" وقد نبه العلماء على وجوب التَّحَري والتَّوَقِّي في بحثه ، لئلا يقع المتعرض له في تحريف الكلم عن مواضعه والقول على الله بغير علم .

سئل الإمام أحمد عن حرف من الغريب فقال : (سَلُوا أصحاب الغريب ، فإني أكره أن أتكلم في قول رسول الله ﷺ بالظن فأخطئ) .

وسأل أبُو قلابة الأصمعيَّ _ اللغوي الجليل _ قال :قلت : يا أبا سعيد ، ما معنى قول رسول الله ﷺ (الجار أَحَقُّ بِسَقَبِه)[28] ؟ فقال : أنا لا أفسر حديث رسول الله ﷺ ، لكن العرب تزعم أن السَّقَب[29] : اللَّزَيق[30]) "[31].

---

[23] _ مقدمة ابن الصلاح ،ص 272 .
[24] _ نزهة النظر ،ص120 .
[25] _ منهج النقد في علوم الحديث ،ص 332 .
[26] _ أنظر هامش ص 95 من نزهة النظر .
[27] _ تيسير مصطلح الحديث للدكتور محمود الطحان ،ص 174 .
[28] _ رواه البخاري في كتاب الشفعة .
[29] _ السَّقَب (بفتحتين) القُرب، ورُوي هذا الحديث بالصاد (بصَقَبه)ومعناه واحد ،انظر مختار الصحاح للرازي ، ص 162_163 .
[30] _ ولزق (بالكسر) لُزوقا والتزق به ، أي لَصِق ، ويقال فلان لِزقي وبِلزقي ولَزيقي أي : بِجَنْبي ، المصدر نفسه، ص 306 .

ويعتبر علم غريب الحديث من العلوم المهمة في بيان خطاب رسول الله ﷺ ، ولهذا بذل المصنفون في جمعه غاية وسعهم ، واستنفذوا في ذلك أعمارهم ، فهذا الإمام أبو عبيد القاسم ابن سلام (ت224هـ) يقول عن كتابه غريب الحديث : " إني جمعت كتابي هذا في أربعين سنة ، وهو خلاصة عمري " ، وقال أحمد بن كامل القاضي :"كان أبو عبيد القاسم بن سلام فاضلا في دينه ، في علمه ...حسن الرواية صحيح النقل، لا نعلم أحدا طعن عليه في شيء من أمر دينه "[32] .

ولقد كان للمصنفين في علم غريب الحديث أثرهم الواضح على المحدثين والفقهاء، وكذا على المشتغلين بالتصنيف في المعاجم اللغوية لاحقا ، يقول الدكتور فاروق حمادة وهو يتحدث عن التعديل والتجريح في اللغة والأدب : " و ختاما أُلفت النظر إلى حقيقة بارزة كمظهر من مظاهر التفاعل بين فكر المحدِّثين واللغويين ، ما نجده من إقدام اللغويين في وقت مبكر على التصنيف في غريب الحديث ، وقد أكثروا في التصنيف في هذا الجانب ، وأناروا الطريق أمام المحدثين والفقهاء في وقت واحد ... وقد كانت هذه المادة _ يعني كتب الغريب _ بكل تأكيد نواة للمعجم العربي فيما بعد "[33] .

4) أهم طرق معرفة غريب الحديث :

من أهم ما يعتمد عليه في تفسير معنى الألفاظ الغريبة الواردة في أحاديث رسول الله ﷺ ، هو أحاديثه نفسها ، فقد يَرِدُ عن الرسول عليه السلام حديث فيه لفظة غريبة يصعب معرفة معناها لقلة استعمالها ، ويُروى عنه حديثٌ آخر فيه لفظة واضحة عوض اللفظة الغريبة يتبين من خلالها المعنى المراد من اللفظة الغريبة .

ومثال ذلك حديث : (من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح ، فكأنما قرب بدنة)[34] ، والبدنة تطلق على الإبل والبقر ، قال العلماء المراد هنا الإبل [35]، وقد ورد في مصنف عبد

---

[31] _ انظر منهج النقد في علوم الحديث ،ص 232 وما بعدها .
[32] _ نزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الأنباري، ص 220 .
[33] _ المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل ،ص 145 .
[34] _ متفق عليه .
[35] _ قال ابن الملقن في معنى (الجَزور) في كتابه الإعلام ج4/ص163 :" وخصها جماعة بالإبل وهو المراد بالحديث اتفاقا " وانظر إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد ص 452 .

الرزاق بن همام الصنعاني هذا الحديث بلفظ :(فله من الأجر مِثل الجَزور) ، والجزور كما قال علماء اللغة : " الجزور من الإبل يقع على الذكر والأنثى "[36] ، فلفظ الجَزور يفسر المراد من البدنة .

وحديث عمران بن حصين في صلاة المريض : (صَلِّ قائما فإن لم تستطع فقاعدا فإن لم تستطع فعلى جَنْب)[37] ، وقد فَسر قولَه على (جَنْب) حديثُ علي ﷺ ، ولفظه : (على جَنبه الأيمن مستقبِل القبلة بوجهه) [38] .

5) **أمثلـة تطبيقية في علم غريب الحديث** :

_ قال أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله في حديث النبي ﷺ (**زُوِيَت** لي الأرض فأُرِيتُ مشارقَها ومغاربَها ، وسيبلغ ملك أمتي ما **زُوِيَ** لي منها)[39] .

(**زَوى**) قال أبو عبيد : سمعت أبا عبيدة معمر بن المثنى التيمي يقول : **زُويت** : جُمعت ، ويقال: **انزوى** القومُ بعضهم إلى بعض إذا تَدانوا وتَضامُّوا ، **وانْزَوَت** الجلدة من النار إذا انقبضت واجتمعت ...قال أبو عبيد : ولا يكاد يكون **الِانْزِواء** إلا بانحراف مع تَقَبُّض[40] .

_ (**أَرَزَ**) قال أبو عبيد في حديثه عليه السلام : (أن الإسلام **لَيَأْرِز** إلى المدينة كما **تَأْرِزُ** الحيةُ إلى جحرها ، قال الأصمعي : قوله **يأرِز** : ينضم إليها ، ويجتمع بعضه إلى بعض فيها ... عن أبي الأسود الدؤلي أنه قال : "إن فلانا إذا سُئل **أَرَزَ** وإذا دُعي اهْتَز، أو قال : انْتَهَز _ شكَّ أبو عبيد _ ، قال يعني إذا سُئل المعروف تَضَامَّ ، وإذا دُعي إلى طعام أو غيرِه مما يَنالُه اهتَزَّ لذلك " [41].

_ (**كهر**) : وقال أبو عبيد في حديثه عليه السلام حين تكلم الرجل خلفه في الصلاة [وهذا المثال سبق في أسباب الورود في (ص8) مع اختلاف طفيف في اللفظ] : قال الرجل : فَبِأَبي هو و أُمِّي ما **كَهَرَني** ولا شَتَمني !! ، قال معاوية بن الحكم : صليت مع رسول الله فعطس بعض القوم ، فقلت : يرحمك الله ، فرماني القوم بأبصارهم وجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما

---

[36]_ مختار الصحاح ، ص 62 .
[37]_ أخرجه البخاري .
[38]_ رواه الدارقطني في سننه .
[39]_ رواه مسلم من حديث ثوبان رضي الله عنه .
[40]_ غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام ج1/ص 3_4
[41]_ غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام ج1/ص 37_38

رأيتهم يصمتونني قلت : واثَكْلَ أُمَيَّاه !! ما لَكُم تُصمِّتونني ؟لكني سكت ، فلما قضى رسول الله صلاته، فبِأَبي هو وأُمِّي ! ما رأيت مُعَلِّما قبْله ولا بعده كان أحسنَ منه تعليما ، ما ضَربني، ولا شَتمني، ولا **كَهَرَني** ، قال : إن هذه الصلاة لا يَصلح فيها شيء من كلام الناس ، إنما هي التسبيحُ والتكبيرُ وقراءةُ القرآن ، أو كالذي قال رسول الله ، قال أبو عمرو في قوله **ولا كهرني: الكهر** الاِنْتِهَار،يُقال منه **كَهَرْتُ** الرجلَ فأَنا **أَكْهَرُه كهْراً** ، قال الكسائي في قراءة عبد الله بن مسعود : ﴿ فأما اليتيم فلا **تَكْهَر** ﴾[42]، قال أبو عبيد : و**الكهر** في غير هذا : ارتفاع النهار [43].

_ قال أبو سليمان الخطابي (388هـ) في حديث النبي ﷺ أنه قال :(**الاِخْتِصارُ** في الصلاة رَاحَةُ أَهلِ النار)[44] .

الاختصار : وضع اليد على الخاصرة[45] ، والمعنى أنه فِعل اليهود في صلاتهم ، وهم أَهلُ النار ، ليس على أَن النارَ الذين هم أهلُها خالدين فيها راحةً ، قال الله تعالى : ﴿ لا يُفَتَّرُ عنهم وهم فيه مُبْلِسون ﴾[46]،فأما قوله تعالى:﴿خالدين فيها ما دامت السماواتُ والارضُ إلا ما شاء ربُّك ﴾[47] فمعناه إلا ما شاء ربك من زيادة التأبيد بعد زوالهما، والله أعلم...عن زياد ابن صبيح الحنفي قال: (صليت إلى جَنْب ابنِ عمر، فوضعت يدي على **خاصرتي**، فلما صلى قال هذا الصَّلْب[48] في الصلاة، كان رسول الله ﷺ ينهى عنه)[49] ، وقد يفسر **الاختصار** في الصلاة تفسيرا آخر، وهو أن يأخذ بيده عصاً يَتَّكئ عليها [50].

_ في خطبة لرسول الله ﷺ خَطب بها الأنصارَ فقال :(أَوَجَدْتُم يا معشرَ الأنصار من **لُعَاعَةٍ** من الدنيا تَأَلَّفْتُ بها قوما لِيُسْلِموا، و وَكَلتُكم إلى إسلامكم، فبَكى القومُ حتى أَخْضَلوا لِحَاهُم) أي بَلُّوها بالدموع .

---

[42]_ سورة : الضحى ، آية: 9

[43]_ غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام ج1/ص114_115 .

[44]_ أخرجه البيهقي في سننه ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ج287/2 .

[45]_ الخاصرة:الخَصر:وسطُ الإنسان،مختارالصحاح ص 99،أو هي جَنْبه ما بين عَظم الحوض وأسفل الأضلاع ، يُشد الحِزام حول الخاصرتين.

[46]_ سورة : الزخرف ، آية : 75 .

[47]_ سورة : هود ، آية : 107_108 .

[48]_ الصَّلب : أن يضع يديه على خاصرتيه في القيام ويُجافي بين عضديه (العضد ما بين المرفق إلى الكتف) .

[49]_ أخرجه أبو داود .

[50]_ غريب الحديث لأبي سليمان الخطابي ج1/ 277 .

و **اللُّعَاعَةُ** أَولُ ما يبدو من النَّبْت وهو طَرِي ناعم ، جعله مَثلاً لِمَا نَالَهُم ، وكذلك زهرةُ الدنيا ، أصلُه زهرة النبات[51] .

_ وقال أبو **مُحَمَّد** في حديث النبي ﷺ أنه قال : (ما يَنتظر أحدُكم إلا هَرَما **مُفْنِداً** أو مرضا مُفْسِدا) [52].

قوله هرما **مُفْنِداً** هو من **الفَنَد** ، يقال **أَفْنَدَ** الرجلُ إذا كثُر كلامُه من الخَرَف ، و**أَفنَده** الكِبَرُ [53].

_ عن أبي بن كعب ﷺ قال : (سألتُ النبيَّ ﷺ عن التوبة **النَّصُوح** ، فقال هو الندم على الذنب حين يَفْرُطُ منك ، وتَستغفرُ اللهَ بِنَدامَتك عند الحافِر ، ثم لا تَعود إليه أبدا) .

يقول الإمام الزمخشري(ت538هـ) :" فِعلُ كذا عند الحافِر والحافرة ، والمعنى : تَنْجِيزُ الندامة والاستغفار عند مُواقَعَة الذنب مِن غير تأخير ، لأن التأخير من الإصرار .

و **النَّصُوح** : هي التي يُناصِح فيها الإنسانُ نفسَه مُبالِغاً ، فجَعل الفعلَ لها [يعني للتوبة]، كأنها هي التي تبالغ في النصيحة[54] .

_ قال أبو عبيد في حديثه عليه السلام (إن أَبغضَكم إليَّ **الثَّرثَارون الـمُتَفَيْهِقون** والـمُتشدِّقون) [55].

قال الأصمعي :أصلُ الفَهْق الِامتلاء ، فمعنى **الـمُتَفَيْهِق** : الذي يتوسع في كلامه و**يَفْهَق** به فَمَهُ ، ونحو ذلك ...وقال غيره **الثَّرثار** المِكثار في الكلام ...

قال أبو عبيد : قد جاء تفسير الحديث فيه ، (قالوا يا رسول الله وما **الـمُتَفَيْهِقون** ؟ قال: المتكبرون، وقال أبو عبيد : وهذا يَؤُول إلى المعنى الذي فسره الأصمعي وغيرُه ، لأن ذلك من المتكبِّر

---

[51]_ غريب الحديث لابن قتيبة الدينوري ج1/306_307 .
[52]_ أخرجه الترمذي في أبواب الزهد ، باب ما جاء في المبادرة بالعمل ، رقم 2306 .
[53]_ المصدر نفسه ج1/ص311 .
[54]_ الفائق في غريب الحديث لجار الله الزمخشري ج1/ص 294 .
[55]_ رواه الترمذي من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه، رقم 2018 .

[يعني بذلك الذي يتوسع في الكلام ويملأ به فمَه يكون متكبرا] ، و**الثرثار** الـمِهْذار بالكلام وغيره[56] .

_ (**فَرَط**) : وقال أبو عبيد في حديث النبي ﷺ :(أنا **فَرَطُكُم** على الحوض)[57] قال الأصمعي : الفَرَط والفارِط : المتقدِّم في طلب الماء ، يقول [يعني النبي ﷺ]: أنا مُتَقَدِّمُكُم إليه ... ومن هذا قولهم في الدعاء في الصلاة على الصبي الميت : اللهم اجعَله لنا **فَرَطاً** ، أي أَجراً مُتقدِّما نَرِدُ عليه [58].

و هكذا، فلا يمكن معرفةُ مضامين هذه الأحاديث وإدراكُ معانيها إدراكاً صحيحاً ، دون الاطلاع على دَلالات المفردات الغريبةِ الواردة فيها ، ولَمَّا كانت هذه الألفاظُ قليلةَ الاستعمال والتَّداول ، صار من الصعوبة بمكانٍ فهمُ مضمون الحديث فهماً سليماً ، في غياب الاعتماد على المصنفات في غريب الحديث، التي اضطَلعتْ بهذه المهمة الجسيمة، قصد تقريب معاني الأحاديث من الناظرين فيها، تيسيرا عليهم لِفهمها، وحسن تطبيقها وامتثالها .

---

[56]_ غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام ج1/106_107 .
[57]_ رواه البخاري من حديث سهل بن سعد ، رقم 6212
[58]_ المصدر نفسه ج1/ص 44_45 .

ثالثا // **علم مختلف الحديث**

لأهمية هذا الفن من فنون الحديث النبوي الشريف ، فقد ألف فيه العلماء كتبا جليلة ، اعتُبرت من الـمَصادر الأساسية لمعرفة هذا العلم .

1) **المصنفات في علم مختلف الحديث :**

يعد الإمام مُحَمَّد بن إدريس الشافعي (ت204هـ) من أوائل من طَرَق باب هذا الفن وفَتَّق ينابيعَه، حيث صنف فيه كتابا مفردا سماه " اختلاف الحديث " ، والكتاب يُعد في مجمله تطبيقا للقواعد الأصولية _ التي كانت فيها الريادة للإمام الشافعي _ على مسائل وأبواب الفقه .

ثم جاء بعد الإمام الشافعي الإمام مُحَمَّد بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت276هـ) فألف كتابه الشهير " تأويل مختلف الحديث " ، وقد ذكر في مقدمته أنه ألفه للرد على أهل الكلام لِتَلْبِيهم أهلَ الحديث ، ورميِهم بحمل الكذب ورواية المتناقض، وبدأ بذِكر ما قاله أرباب أهل الكلام من المعتزلة ، مع ردِّه عليهم بعنف وشدة [59] ، وشَنَّ بعد ذلك حملة شعْواء على أصحاب الرأي ، وبعد هذه المقدمة شرع ابن قتيبة في الموضوع الذي ألف الكتاب لأجله فقال :" وأما المتناقِض، فنحن مُخبِروك بالـمَخارج منه، ومُنَبِّهوك على ما تأخرَ عنه علمُك وقَصُر عنه نظرُك، وبالله الثقة وهو المستعان _ فقال _ : ذِكر الأحاديث التي ادعوا عليها التناقضَ، والأحاديث التي تُخالف عندهم كتابَ الله تعالى، والأحاديث التي يَدفعها النَّظَرُ وحجةُ العقل " [60] .

و صنف بعد الشافعي وابن قتيبة في مختلف الحديث وكذا في مشكله ، جماعة من العلماء منهم :

_ أبو يحيى زكريا بن يحيى الساجي (ت307هـ).

_ أبو جعفر الطحاوي (ت321هـ) صنف "شرح معاني الآثار" و "مشكل الآثار" .

_ أبو بكر بن فورك (406هـ) وسمى كتابه "مشكل الحديث وبيانه" .

_ ابن الجوزي (ت597هـ) "شرح مشكل الصحيحين".

---

[59] _ انظر مقدمة تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص 3 وما بعدها

[60] _ تأويل مختلف الحديث ص 86_87 .

_ جلال الدين السيوطي (ت911هـ) وكتابه " تأويل الأحاديث الموهمة للتشبيه " .

2) **تعريف علم مختلف الحديث وبيان أهميته :**

يعتبر علم مختلف الحديث من أهم أنواع علوم الحديث التي يجب معرفتها ، و لأهميته فقد ذكره علماء مصطلح الحديث معترفين بمدى صعوبة هذا النوع ووعورة مسلكه ، حيث لا يدركه إلا العلماء الذين اجتمعت لديهم صناعة الحديث والفقه ، يقول الإمام ابن الصلاح الشهرزوري(ت643هـ) :" وإنما يكمل للقيام به الأئمة الجامعون بين صناعَتَي الحديث والفقه ، الغواصون على المعاني الدقيقة " [61] .

وذكره الإمام النووي (ت676هـ) في النوع السادس والثلاثين فقال :" معرفة مختلف الحديث وحكمه ، هذا فن من أهم الأنواع ، ويضطر إلى معرفته جميع العلماء من الطوائف ، وهو أن يأتي حديثان متضادان في المعنى ظاهرا ، فيُوفِّقُ بينهما ، أو يُرجِّحُ أَحَدَهما ، وإنما يَكْمُل له الأئمة الجامعون بين الحديث والفقه ، والأصوليون الغواصون على المعاني "[62] .

3) **الفرق بين مختلف الحديث ومشكَل الحديث :**

وقد يدخل في تعريف مختلِف الحديث (مُشْكَل الحديث) كذلك ، كما ذكر ذلك نور الدين عتر ، قال في تعريف مختلف الحديث :" وربما سماه المحدثون مشكل الحديث ، وهو ما تَعارضَ ظاهرُهُ مع القواعد فأَوْهَمَ معنىً باطلاً ، أو تَعارضَ مع نص شرعي آخر ، وهو مِن أهم ما يَحتاج إليه العالِمُ والفقيه ، ليقف على حقيقة المراد من الأحاديث النبوية ، لا يَمْهَر فيه إلا الإمام الثاقب النظر " [63] .

---

[61] _ مقدمة ابن الصلاح مع التقييد والإيضاح ص 244 .

[62] _ التقريب مع التدريب ج175/2 . أما تعريف المختلف لغة : فقد ورد في لسان العرب قوله :" ... وتخالف الأمران واختلفا لم يتفقا ، وكل ما لم يتساو فقد تخالف واختلف ... والاختلاف والمخالفة أن يأخذ كل واحد طريقا غير طريق الآخر في حاله أو قوله ، ... وليس كل مختلفين ضدين، لأن الخلاف أعم من الضد ، ولكن كل ضدين مختلفان " لسان العرب لابن منظور مادة (خلف) ج1240/2 ، وتاج العروس للزبيدي مادة (خلف) ج101/6_103 ،و لِلفظ الاختلاف ألفاظ مرادفة تؤدي المعنى نفسَه ، كالتعارض والنقض ، انظر مادة (عرض) في لسان العرب ج4/ص2889 ومادة (نقض) في ج4524/6 من المصدر نفسه .

[63] _ منهج النقد في علوم الحديث ص 337 .

وعلى هذا فإن مشكل الحديث أَعَمُّ من المختلف ، فكل مختلف فيه إشكال، نتيجة التداخل والالتباس والتعارض ، وليس كلُّ مُشكَلٍ مختلفاً ، ذلك أن الإشكال قد يكون ناتجا عن إبهام وغموض في الحديث نفسه ، أو بسبب حصول المعارضة للعقل أو اللغة .

ورغم هذا الفارق الدقيق بين مختلف الحديث ومشكله ، فإن مشكل الحديث يصنف ضمن مختلف الحديث ، ولهذا اعتبر العلاّمة مُحَمَّد بن جعفر الكتاني اختلاف الحديث ومشكله نوعا واحدا، في معرض كلامه عن الكتب المصنفة في هذا الفن ، حيث قال :" ومنها كتب في اختلاف الحديث، أو تقول في تأويل مختلف الحديث، أو تقول في مشكل الحديث، أو تقول في مناقضة الأحاديث وبيان مَحامِل صحيحِها " [64] .

فاختلاف الحديث هو ذكر الأحاديث التي يبدو بينها اختلاف وتعارض في الظاهر، وبنظر العلماء فيها مَلِيًّا، و تَأَمُّلهم لها يستطيعون إزالة التعارض الظاهر عنها، إما ببيان ناسِخها مِن منسوخها، أو عامِّها من خاصِّها، وغير ذلك من طرق حل التعارض .

أما مشكل الحديث، هو الحديث الذي يَعتريه غموض والْتِباس يَحجُب إدراكَ المعنى المراد منه ، بحيث لا يُتوصل إليه إلا بالكشف عن معناه اللغوي، ومعرفة مدى موافقتِه لمقاصد الشريعة ، أو أن الحديث مُشكلاً لِما يَكْتَنِفُه من تعارض في الظاهر مع حديث آخر، يزول هذا الإشكال بإمعان النظر وتدقيق الفهم للحديثين معاً.

و حصول التعارض حقيقة وواقعا يفضي إلى إبطال التكليف، يقول الخطيب البغدادي (463هـ):" و كلُّ خَبرَيْن عُلم أن النبي ﷺ تكلم بهما، فلا يصح دخولُ التعارض فيهما على وجه ، وإن كان ظاهرُهما متعارضَيْن، لأن معنى التعارض بين الخبرَيْن والقرآن من أمر ونهي وغير ذلك، أن يكون مُوجِب أحدِهما منافيا لموجِب الآخر، وذلك يُبْطل التكليفَ إن كان أمرا ونهيا، وإباحة وحَظْرا ، أو يوجِب كونَ أحدِهما صدقاً والآخَرَ كذبا، إن كانا خبرَيْن، والنبي ﷺ منزَّه عن ذلك أجمع، ومعصوم منه باتفاق الأمة، وكلٌّ مُثْبِت للنبوة"[65].

---

[64]_ الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة ص 158 .

[65]_ الكفاية في علم الرواية ص 473 .

إذ لا يُعقل أن يُحَدَّث عن رسول الله ﷺ بحديثَيْن إسنادهما صحيح وبينهما تعارض، يقول أبو بكر بن خزيمة(ت311هـ):" لا أعرف أنه رُوي عن رسول الله ﷺ حديثان بإسنادَين صحيحَيْن، مُتضادَّان ، فمَن كان عنده فلْيَأت به حتى أُؤَلِّف بينهما " [66] .

سنرى من خلال بعض الأمثلة كيف يتم التوفيق بين الأحاديث التي يبدو عليها التعارض .

4) **أمثلة تطبيقية في علم مختلف الحديث :**

هذه الأمثلة أوردها الإمام أبو جعفر الطحاوي (ت321هـ) في كتابَيْه "شرح معاني الآثار" و "مشكل الآثار" .

عن عُبادة بن الصامِت قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (خمس صلوات كَتبهُنَّ اللهُ على العباد ، فمَن جاء بهِن لم يُضيّع منهن شيئا استِخفافا بحقهن ،كان له عند الله عهدٌ أن يُدخلَه الجنة ، ومَن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ، إن شاء أَدخله الجنةَ وإن شاء عذبه)[67] ، يقول الإمام أبو جعفر الطحاوي :" فقال قائل : كيف تَقبَلون هذا الحديث عن رسول الله ﷺ وأنتم تَروون عنه خلافَه ؟! فذكر ما قد حدثنا يزيد بن سِنان ... عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (بيْن العبد وبين الكفر أو قال وبين الشرك تركُ الصلاة) [68] .

فقال أبو جعفر مجيبا هذا الذي زعم أن هنالك تعارضاً بين هذين الحديثين ، معتمدا في ذلك على اللغة العربية، وموظِّفا الشعر العربي في بيان معنى لفظة (الكفر) الواردة في الحديث ، ليَخلُص إلى أن الحديثين متفقان و لا تَعارض بينهما، قال :" فكان جوابنا له في ذلك، أن الكفر المذكور في هذا الحديث خِلافَ الكفر بالله عز وجل، وإنما هو عند أهل اللغة أنه يُغطِّي إيمانَ تاركِ الصلاة ويَقِينَه، حتى يصيرَ غالباً عليه مُغطىً له، ومن ذلك قيل ما ذَكره لَبِيد: (في ليلةٍ كَفَرَ النُّجومَ غَمامُها)، و من ذلك قولُ الله عز وجل : ﴿كَمَثَل غيثٍ اعجَبَ الكفارَ نباتُه ﴾[69] يعني الزُّراع الذين يُغَيِّبُون ما يَزرعون في الأرض، لا الكفار بالله عز وجل... فمِثلُ ذلك قولُه (ليس بين العبد

---

[66]_ الكفاية في علم الرواية ص 473 .

[67]_ رواه أبو داود من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، في كتاب الصلاة ، باب في المحافظة على وقت الصلوات ،رقم 425 .

[68]_ رواه مسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان إطلاق إسم الكفر على من ترك الصلاة ، رقم 82 .

[69]_ سورة : الحديد، آية: 19 .

وبين الكفر إلا تركُ الصلاة) هو مِن هذا المعنى أيضا، و الله أعلم ، حتى يَصِحَّ هذه الأخبارُ ولا يَخْتَلِفَ " [70]

ولقد كان الإمام أبو جعفر شديد الحرص على نفي التعارض عن الأحاديث ، فمتى وَجد طريقاً ومَخْرجاً تَصيرُ معه الأحاديثُ مُتَّفِقةً غيرَ مُختلفةٍ إلاَّ وسَلَكه ، يقول رحمه الله :" وسبيلُ الآثار أن تُحمل على الاتفاق ، ما وُجد السبيلُ إلى ذلك ، ولا تُحمَلَ على التَّنافي والتَّضاد " [71] .

وروى الإمام أبو جعفر الطحاوي بسنده إلى أبي سعيد قال : (كنا نُخرِج إذْ كان فينا رسولُ الله ﷺ صدقة الفطر، إما صاعا من طعام، وإما صاعا من تمر، وإما صاعا من شعير، وإما صاعا من زبيب، وإما صاعا من أَقِطٍ[72]) [73]، ثم روى الإمام أبو جعفر حديثا آخر مخالفا لمعنى حديث أبي سعيد ﷺ، فقال: (حدثنا ربيع المؤذِّن...عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: كنا نؤدي زكاة الفطر على عهد رسول الله ﷺ مُدَّيْن من قمح)[74]، وقال بعد ذلك مُبَيِّنا معنى الحديثَيْن رَفْعاً للتعارض الظاهر بينهما :" و مُحال أن يكونوا يَفعلون هذا إلا بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن هذا لا يُؤخَذ _حينئِذ_ إلا من جهة تَوقيفه إيَّاهم على ما يَجب عليهم من ذلك .

فتَصحيح ما رُوي عن أسماء، وما روي عن أبي سعيد ، أن يُجعل ما كانوا يُؤَدُّون على ما ذَكَرتْ (يعني أسماء) هو الفرض، وما كانوا يُؤدون على ما ذكره أبو سعيد زيادةً على ذلك، هو تَطَوُّع "[75] .

فقد حَلَّ الإمام أبو جعفر التعارض الظاهر بين هذين الحديثين بتمييزه بين معنى الفَرْض والفَضْل .

كما أنه سلك مسلكا آخر في حل التعارض بين الأحاديث ، ذلك أن بعض الأحاديث يبدو في الظاهر أن بينها تعارضا ، لكن بجمع الأحاديث الواردة في الباب وفهم معانيها ودلالاتها ، يتوصل

---

[70] _ مشكل الآثار لأبي جعفر الطحاوي ج 4/223_227 .
[71] _ شرح معاني الآثار ج4/392 .
[72] _ الأَقِط : هو لبن مُجفَّف يُطبخ به ، مختار الصحاح مادة (أقط) ص 18 .
[73] _ الحديث متفق عليه ، أخرجه البخاري في زكاة الفطر، باب صدقة الفطر صاعا من شعير، وباب صدقة الفطر صاعا من طعام، وباب صاع من زبيب ،رقم1506، وأخرجه مسلم في الزكاة ، باب زكاة الفطر على المسلمين من التمر والشعير ، رقم 985 .
[74] _ أخرجه أحمد في مسنده ج6/ ص 347_ 355 .
[75] _ شرح معاني الآثار ج2/ص 42_44 .

الإمام الطحاوي إلى معرفة أن أحدها مُجمَل والآخر مُبَيَّن، فيَحمل المجملَ على المبيَّن لإزالة التعارض المُتوهَّم بينهما .

فروى بسنده عن سيار بن سلامة قال دخلت مع أبي على أبي برزة فسمعته يقول : (كان رسولُ الله ﷺ يَكْره النومَ قَبْل العِشاء الآخرة والحديثَ بعدها) [76] .

قال أبو جعفر:" فذهب قوم إلى كراهة الحديث بعد العشاء الآخرة، واحتجوا في ذلك بهذا الحديث، وخالَفَهم في ذلك آخرون فقالوا: أما الكلامُ الذي ليس بِقُرْبَةٍ إلى الله عز وجل، وإن كان ليس بمعصية فهو مكروه حينئذ، لأنه مُستحبٌّ للرجل أن ينام على قُرْبةٍ وخيرٍ وفضلٍ يَختِم به عَملَه، فأفضل الأشياء له أن ينام على الصلاة فتكون هي آخرُ عمَله ، واحتجوا في إباحة الحديث بعد العشاء بما حدثنا يزيد بن سِنان... عن أبي وائل قال: ثَنَا[77] عبد الله قال :(حَدَبَ[78] إلينا رسولُ الله ﷺ السَّمَرَ بعد صلاة العتمة، وقال مسلم : بعد صلاة العشاء)[79] .

ففي هذا الحديث أن الرسول ﷺ حدب لهم السمر بعد العشاء الآخرة ، وفي الحديث الأول أنه كان يَكره ذلك .

فَوَجْهُهُما عندنا _ والله أعلم _ أنه كَره لهم من السَّمر ما ليس بقربة، وحَدَبَ[80] لهم ما هو قربة، على المعنى الذي ذكرناه عن أهل المقالة الثانية المذكور في هذا الباب _ ثم روى الحديث الذي يبين ذلك بوضوح فقال _ : وقد حدثنا إبراهيم بن مُحَمَّد الصيرفي ... عن علقمة عن عبد الله قال : (ربما سمر رسول الله ﷺ في بيت أبي بكر ذات ليلة ، في الأمر يكون من أمر المسلمين) [81] _ قال

---

[76] _ متفق عليه، رواه البخاري في مواقيت الصلاة، باب وقت العصر، وباب وقت الظهر عند الزوال، وباب ما يُكره من السَّمَر بعد العشاء، رقم 547 ،ورواه مسلم في المساجد ، باب استحباب التبكير بالصبح في أول وقتها ، رقم647 .

[77] _ ثَنَا : اختصار (حَدَّثنا) .

[78] _ سيأتي شرح (حَدَب) في الهامش رقم 78 .

[79] _ أخرجه الطحاوي في شرح معاني الأثار ج330/4 .

[80] _ حَدَب : (بالحاء المهملة) هكذا وردت هذه اللفظة في هذا المصدر، شرح معاني الآثار ج4/ص330 ، فإذا لم يكن فيها تصحيف فمعناها ، كما ورد في لسان العرب : حدب فلان على فلان ، يحدب حدبا فهو حدب ، وتحدب : تعطف وحنا عليه ... حدب عليه يحدب إذا عطف ، لسان العرب ج52/4 .، معنى ذلك أنها شيء محمود ، حدب لهم السمر بعد العشاء الآخرة ، يعني لم يكرهه ، فيكون معنى (كره) و(حدب[وليس جدب _ بالجيم المعجمة_]) متناقضين ، يعني [كره ضد حدب] ولهذا وجَّه الطحاوي هذين المعنيين بما يزيل عنهما التعارض .

[81] _ أخرجه الترمذي من حديث عمر بن الخطاب، في الصلاة ، باب ما جاء في الرخصة في السمر بعد العشاء ، وقال الترمذي (هذا حديث حسن) .

أبو جعفر _ فبَيَّن هذا الحديثُ سَمَر رسول الله ﷺ الذي كان يسمُره، وأنه من أمور المسلمين، فذلك من أعظم الطاعات، فدَلَّ ذلك على أن السَّمرَ المنهيَّ عنه، خلافُ ذلك "[82] .

وروى الإمام أبو جعفر الطحاوي بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما (أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في الأضحى والفطر في الأُولى ب﴿ سبح اسم ربك الأعلى﴾ [83] و في الثانية ﴿ هل أتاك حديث الغاشية ﴾[84])[85] .

قال أبو جعفر : " فذهب قوم إلى أن هاتين السورتين هما اللتان ينبغي للإمام أن يقرأ بهما في صلاة العيدين وفي الجمعة من فاتحة الكتاب ، و لا يجوز ذلك إلى غيره واحتجوا في ذلك بهذه الآثار [يعني هذا الحديث ، وأحاديث أخرى رواها الطحاوي في معناه] وخالفهم في ذلك آخرون ، فقالوا : ليس في ذلك توقيت بعينه لا ينبغي أن يُجاوَز إلى غيره ، ولكن للإمام أن يقرأ بهما ، وله أن يقرأ بغيرهما _ ثم روى الأحاديث الدالة على ذلك فقال _ : وكان من الحجة لهم في ذلك أن أبا بكرة و ابن مرزوق قد حدثانا ... عن أبي واقد قال : (سألني عمر بما قرأ رسول الله ﷺ في العيدين ، قلت ﴿ ق ﴾[86] و ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ [87] ... فهذا أبو واقد قد أخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ في العيدين بغير ما أَخبر به مَن روى الأثار الأُول .

و روى الإمام الطحاوي أحاديث أخرى قرأ فيها الرسول ﷺ بغير ما قرأ في هذين الحديثين، ك: ﴿ هل أتاك حديث الغاشية ﴾[88] و ﴿ إذا جاءك المنافقون ﴾[89] ، فقال بعد ذلك مبينا وجه هذا التعارض في الروايات ، وأنه ليس في حقيقة الأمر تعارضا حقيقيا ، وأن كل ذلك صدر عن النبي ﷺ ، فروى عنه كل فريق من الرواة ما سمعوا ، قال :" فلما جاء عن رسول الله ﷺ في هذه الآثار أنه قرأ في العيدين والجمعة غير ما جاء عنه في الأثار الأُوَل ، لم يَجز أن يُحمل ذلك على التَّضاد

---

[82]_ شرح معاني الآثار ج329/4_330 .
[83]_ سورة : الأعلى ، آية:1 .
[84]_ سورة : الغاشية ، آية: 1
[85]_ أخرجه مسلم في كتاب الجمعة ، باب ما يقرأ صلاة الجمعة ،رقم878 .
[86]_ سورة : ق .
[87]_ سورة : القمر ، آية : 1 .
[88]_ سورة الغاشية ، آية : 1
[89]_ سورة : المنافقون ، آية : 1 .

والتَّكاذُب، ولكِنَّا نَحْملُه على الاتفاق والتَّصادُق ، فنجعلُ ذلك كلَّه قد كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقرأ بهذا مرةً ، وبهذا مرةً ، فحكى عنه كلُّ فريق من الفريقين ما حَضَره منه " [90] .

و بهذا استطاع الإمام الطحاوي أن يَحُل التعارض بين هذه الأحاديث ، مُعتبراً أن الحالَتَيْن معا رُوِيَتا عن النبي ﷺ ، و في هذا المسلك حفظ للروايات وإعمال لها كلَّها ، و نفيٌ للكذب والاتهام عن الرواة ، و في ذلك رفعٌ للسنن وإعلاءٌ لشَأنها ، بما تبدو عليه من الاتفاق وعدم التَّضادِّ والتَّعارض .

[90]_ شرح معاني الآثار ج1/ ص 413_ 414 .

رابعاً // ناسخ الحديث و منسوخه

1) **المصنفات في علم ناسخ الحديث ومنسوخه :**

_ الناسخ والمنسوخ ، لأحمد بن حنبل (ت 241هـ) .

_ ناسخ الحديث ومنسوخه ، لأبي حفص بن شاهين (ت 385 هـ) مطبوع .

_ الاعتبار في الناسخ و المنسوخ من الآثار ، لأبي بكر مُحَمَّد بن موسى الحازمي (ت 584هـ) مطبوع .

_ إعلام العالم بعد رسوخه بحقائق ناسخ الحديث ومنسوخه ، لعبد الرحمن بن الجوزي (ت597هـ) مطبوع ، بتحقيق أحمد عبد الله العماري الزهراني .

_ و لعبد الرحمن بن الجوزي أيضا كتاب آخر سماه : إخبار أهل الرسوخ في الفقه والتحديث بمقدار المنسوخ من الحديث ، مطبوع بتحقيق مُحَمَّد صبحي حسن حلاق.

2) تعريف النسخ :

أ_ لغة : له معنيان :

*الإزالة ، ومنه نَسخت الشمس الظل وانْتَسخَتْه، أي أزالته ، ونسخت الريح آثار الديار ، غَيَّرَتْها ، نسخ الشَّيب الشباب .

*النقل ، ومنه نسخت الكتاب [91] إذا نقلت ما فيه ، فكأن الناسخ قد أزال المنسوخ ، أو نقله إلى حكم آخر .

ب_ اصطلاحا: رَفعُ الشارع حُكما منه متقدِّما بحكم منه مُتأخِّر ، أو هو رَفعُ حُكم شرعي بدليل شرعي متأخر[92] .

[91] _ مختار الصحاح للرازي ص 336 .

3) أهميتُه و صعوبته و أشهر المُبـرَّزِين فيه :

إن معرفة ناسخ الحديث من منسوخه فن مهم وصعب، يقول الإمام الحافظ أبو عمرو عثمان بن الصلاح (ت643هـ) :" هذا فن مهم مُسْتَصْعَب، رُوِينا عن الزهري[93] ﷺ أنه قال:(أَعْيَى الفقهاءَ وأَعجَزَهُم أن يَعرفوا ناسخَ حديثِ رسولِ الله ﷺ مِن مَنسوخه)، وكان للشافعي ﷺ فيه يَدٌ طُولَى وسابقةٌ أُولَى، رُوِينا عن مُحَمَّد بن مسلم بن وارة أحدِ أئمة الحديث، أن أحمد بن حنبل قال له و قد قَدِمَ من مصر : كَتَبْتَ كُتُبَ الشافعي؟ فقال: لا، قال: فَرَّطْتَ، ما عَلِمْنا المُجمَلَ من المفسَّر و لا ناسخَ حديثِ رسولِ الله ﷺ مِن مَنْسوخِه حتى جالَسْنا الشافعيَّ " [94] .

و معرفة ما وقع فيه النسخ من الحديث عِلم مهم، لا ينهض به إلا كبار الأئمة والعلماء، مع الحاجة الملحة إلى الحرص الشديد والاحتياط، خَشيةَ الوقوع في المَهالك .

عن أبي عبد الرحمن السُّلَمي :" أن عَليا ﷺ مَرَّ بِقاض فقال : أَتَعْرف الناسخَ و المنسوخ ؟ قال : لا ، قال : هَلَكتَ و أَهلكتَ "[95] وإسناده صحيح إلى علي ﷺ .

و قال الإمام ابن حزم (ت 456هـ) :" لا يحل لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقول في شيء من القرآن و السنة هذا منسوخ إلا بيقين "[96] ، ثم ساق الأدلة على ذلك .

وقال الإمام الحازمي (584هـ) :" معرفة ناسخ حديث رسول الله ﷺ ومنسوخه ، إذ هو علم جليل، ذو غَوْر[97] وغُموض، دارت فيه الرؤوس، وتاهت في الكشف عن مَكنونه النفوس، وقد تَوَهَّم بعضُ مَن لم يَحْظَ من معرفة الآثار إلا بآثار، ولم يُحَصِّل من طرائق الأخبار إلا أخبارا، أن الخَطْب فيه جليل يسير، والمحصولَ منه قليل غير كثير، ومَن أَمْعَنَ النظر في اختلاف الصحابة في الأحكام المنقولة عن النبي ﷺ اتَّضح له ما قُلْنَاه " [98] .

---

[92]_ أصول الفقه الإسلامي لوهبة الزحيلي ج 2/ص934 .
[93]_ يعني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت 124هـ) .
[94]_ مقدمة ابن الصلاح مع التقييد والإيضاح ص 238 .
[95]_ ناسخ القرآن ومنسوخه لابن الجوزي ص125_126 ، وانظر الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار ص 6 .
[96]_ الإحكام في أصول الأحكام ج4/83_84 .
[97]_ غَور : يعني عُمْق ، وشرحها قوله (وغُموض) ، بمعنى: صعب غامض، يحتاج إلى بذل جهد لمعرفته .
[98]_ الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار ص44 .

و قال أيضا :" وهذا الفن من تَتِمات الاجتهاد، إذِ الرُّكن الأعظم في باب الاجتهاد معرفةُ النقل، و من فوائد النقل معرفةُ الناسخ والمنسوخ ، إذِ الخَطْب في ظواهر الأخبار يسير ، وتجشم كلفها غير عسير، وإنما الإشكال في كيفية استنباط الأحكام من خفايا النصوص ، و من التحقيق فيها معرفةُ أوَّل الأمرين وآخرِهما ، إلى غير ذلك من المعاني"[99] .

4) طرق معرفة الناسخ من المنسوخ :

يُعرف ناسخ الحديث من منسوخه بأحد الطرق الآتية :

*بتصريح رسول الله ﷺ ،كما ورد في حديث بريدة ﷺ عن رسول الله ﷺ : (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، فإنها تُذَكِّر الآخرة)[100].

*بإخبار الصحابي ﷺ كقول جابر ﷺ :(كان آخر الأمرين من رسول الله ﷺ ترك الوضوء مما مست النار) [101] .

*بمعرفة التاريخ ، يعني معرفة الزمن الذي قيل فيه الحديث الأول، و الزمن الذي قيل فيه الحديث الثاني .

*بِدَلالة الإجماع .

5) الحكمة من مشروعية النسخ[102] :

_ مراعاة مصالح العباد .

_ تطور التشريع إلى مرتبة الكمال، حسب تطور الدعوة وتطور حال الناس.

_ ابتلاءُ المكلَّف واختبارُه بالامتثال وعَدَمِه .

_ إرادةُ الخير للأمة والتيسيرُ عليها، لأن النسخ إن كان إلى أَشَق ففيه زيادة الثواب ، و إن كان إلى أَخَف ففيه سهولة و يسر[103] .

---

[99] _ الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار ص 47 .
[100] _ رواه مسلم .
[101] _ رواه أبو داود والنسائي .
[102] _ مقدمة محقق (إخبار أهل الرسوخ) ص11
[103] _ إرشاد الفحول للشوكاني ص 185_186 .

6)أمثلة تطبيقية في علم ناسخ الحديث ومنسوخه :

أورد الإمام عبد الرحمن بن الجوزي (ت597هـ) في كتابه : " إخبار أهل الرسوخ في الفقه و التحديث بمقدار المنسوخ من الحديث " جملةً من الأحاديث التي حصل فيها النَّسخ، نذكر منها بعض النماذج ، روى أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال :(تَوَضَّؤوا مما أَنْضَجَتِ النار) [104] ، و روى ابن عباس: (أن النبي ﷺ أَكَلَ كَتِفاً ثم صلى و لم يتوضأ)[105].

قال جابر ــ يعني ابن عبد الله الأنصاري ــ : (آخرُ الأَمْرَيْن من رسول الله ﷺ تَرْكُ الوضوءِ مِـمَّا مَسَّتِ النارُ)[106]، يقول ابن الجوزي :" و هذا دليل على النسخ "[107] ، وقد ذكر الإمام أبو جعفر الطحاوي أحاديث قريبة في لفظها من هذه وقال معلقا عليها :" فثبت بما ذكرنا أن آخرَ الأَمْرَيْنِ من رسول الله ﷺ هو تركُ الوضوء مما غَيَّرَت النارُ ، وأن ما خالَف ذلك فقد نُسِخ بالفعل الثاني "[108] .

روى وائِل بنُ حُجْر ﷺ :(أن النبيَّ ﷺ كان يَضعُ يَديْه بَيْن رُكبَتَيْه إذا رَكَع) [109].

و قال سعيد بن أبي وقاص ﷺ: (كُنا نَفعل ذلك ثم أُمِرنا بالرُّكَب) [110].

قال ابن الجوزي :" فهذا صريحٌ في الإخبار بالنَّسخ ، واللهُ أعلم "[111].

روى أبو سعيد ــ هو الخُدري ــ ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : (إذا رأيتم الجنازة فقوموا لها)[112]، و قال علي بن أبي طالب ﷺ : (ما قام رسولُ الله ﷺ إلَّا مرة ، فلما نُهِيَ انْتَهى)[113]، و في لفظ : (رأيت رسول الله ﷺ قام فقمنا وقعد فقعدنا)[114] ، يقول ابن الجوزي :" و هذا دليل

---

[104] ــ أخرجه مسلم رقم 90
[105] ــ أخرجه البخاري رقم 207 ، ومسلم رقم 91 .
[106] ــ أخرجه أبو داود رقم 192 ، والنسائي رقم 185 .
[107] ــ إخبار أهل الرسوخ ص 41
[108] ــ شرح معاني الأثار ج67/1 .
[109] ــ أخرجه مسلم بلفظ قريب منه ، رقم 534 .
[110] ــ أخرجه البخاري رقم 790 ، ومسلم رقم 535 .
[111] ــ إخبار أهل الرسوخ ص 59 .
[112] ــ أخرجه البخاري ، رقم 1310 .
[113] ــ أخرجه أحمد في مسنده ج141/1_142 .
[114] ــ أخرجه مسلم رقم 84 .

على نسخ القيام . و قال ابن عقيل : يمكن الجَمعُ ، فيقال القيام لها مستحب ، والجلوس جائز، فلا نَسْخ "[115] .

رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما :(أن النبي ﷺ صام عاشوراء وأَمَر بصيامه)[116]، و رَوت عائشة ﵂ قالت : (لما قَدِم رسولُ الله ﷺ المدينةَ ، صام عاشوراء و أَمَر بصيامه، فلما نَزلت فريضةُ رمضانَ تَرَكَ يومَ عاشوراء ، فمَن شاء صامَهُ و من شاء أَفطرهُ)[117] ، يقول الإمام ابن الجوزي رحمه الله :" و ظاهِرُ هذا أنه كان واجِباً فنُسِخ " [118] .

روى ابن عمر رضي الله عنهما (أن النبي ﷺ نهى أن يُؤكل لحمُ الأضاحي بعد ثَلاث)[119] ، وقال أبو سعيد (الخُدري) : (كان النبيُّ ﷺ نهانا أن نَحبِسَه فوق ثلاثة أيام ثم رَخَّص لنا أن نَأكلَ ونَدَّخِرَ)[120].

روى أبو سعيد (الخُدري) عن النبي ﷺ (لا تَكتبوا عني شيئا إلا القرآن فمن كتب عني شيئا فَلْيَمْحُه)[121] ، وروى أنس أن النبي ﷺ قال : (قيدوا العلم بالكتاب)[122] ، قال ابن قتيبة : " نهى في أول الأمر ، فلما علم أن السنن تكثر فيفوت الحفظ أجاز الكتابة " [123] .

أحيانا فإن ابن الجوزي يَسُوقُ بعضَ الأحاديث ويَرُدُّ فيها على من ادعى نَسخَها ، مثال ذلك روى أبو سعيد ــ يعني الخُدري ــ يَبْلُغ به النبيَّ ﷺ أنه قال : (الغُسل يوم الجمعة واجبٌ على كل مُحتَلِم)[124] ، يقول ابن الجوزي : " و قد ادَّعَى قومٌ نَسخَه بقوله عليه الصلاة و السلام : (مَن تَوضأ فَبِها ونِعْمَتْ و من اغتسل فالغُسل أَفضَل)[125] ، يقول ابن الجوزي :" و في هذا ضعف ، لأن

---

[115] ــ إخبار أهل الرسوخ ص 62 .
[116] ــ أخرجه البخاري ، رقم 2004 .
[117] ــ أخرجه البخاري ، رقم 1592 .
[118] ــ إخبار أهل الرسوخ ص 72 .
[119] ــ أخرجه البخاري ، رقم5574 .
[120] ــ أخرجه البخاري ، رقم 3997 .
[121] ــ أخرجه مسلم ، رقم 3004 .
[122] ــ أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ج72/1 .
[123] ــ إخبار أهل الرسوخ ص81 .
[124] ــ أخرجه البخاري ، رقم 858 .
[125] ــ أخرجه أحمد في مسنده ج/5 ص8 ، وأبو داود رقم 354 .

الحديث الأوَّل أقوى ، وإنما تَأَوَّلَه قوم منهم الخطابي ، فقالوا في قوله ﷺ (واجب) ، أي لازم من باب الاستحسان ، كما تقول: حقُّك عليَّ واجب "[126].

لقدِ اتضحَ من خلال هذه الأحاديث، أنَّ بعضَ الأحكام تَوقَّف العملُ بها لأنها صارت منسوخةً، فزال إشكالُ الاختلاف بينها وظهر معناها جلياً واضحاً .

فكان علم ناسخ الحديث ومنسوخه، إضافة إلى العلوم الأخرى، علم مختلف الحديث، وعلم غريب الحديث، وعلم أسباب ورود الحديث، مِن أعظم الروافد والإمدادات التي يُفيد منها فقهُ الحديث ، والتي لا يُغني فيها علمٌ عن علمٍ آخر ، بل كل واحد منها يُؤدي دورَه ووظيفَته في البيان، لتَجتمعَ هذه العلومُ جميعُها على الكشف عن كثيرٍ مِن أَسرار ودَلالات كلامِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبِفضل هذه العلوم والمعارف ، استطاع علماؤُنا رحمهم اللهُ الكشفَ عن معاني الأحاديث ومَضامين السنن ، لِاستنباط الأحكام و الاهتداء إلى مقاصد خطاب رسول الله ﷺ، قصد تَنزيلِ ذلك وتطبيقِه في دنيا الناس، باعتباره خطاباً لكل الناس إلى قيام الساعة ، حيث تَوَلَّ الله سبحانه وتعالى حفظَه كما قال في محكم التنزيل : ﴿إنَّا نحن نَزَّلنا الذكرَ وإنَّا له لَحافظون ﴾[127] .

والحمد لله رب العالمين

[126]_ إخبار أهل الرسوخ ص 54_55 .
[127]_ سورة : الحجر ، آية : 9 .